مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: غياب الايدولوجيا عن الثورات العربية
اسم الكاتب: م.م. احمد عبد الكريم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6993
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 04:31 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

غياب الايدولوجيا عن الثورات العربية

المدرس المساعد
احمد عبد الكريم(*)

ملخص البحث

الربيع العربي ... هذا المصطلح اطلق لوصف حال التغيير التي شهدتها بعض دول المنطقة العربية أثر موجة الحراك الشعبي الممثل بالثورات الشعبية و التي رافقها بعض اعمال عنف في بعض هذه الدول، وقد نجحت هذه الثورات الشعبية في تغيير رأس النظام السياسي في بعض هذه الدول .. إلا أن ما لفت الانتباه اليه هو غياب عامل الايديولوجيا عن جميع هذه الثورات الشعبية !!! ..

والمراد من هذا البحث تسليط الضوء على أهمية العامل الايديولوجي في اي عملية تغيير السياسي، لما لهذا العامل من وظائف عديدة في الجانب السياسي والاجتماعي... ويخلص هذا البحث الى حقيقة مفادها : ان من يمتلك العامل الايديولوجي سوف يكون الرابح الأكبر من عملية التغيير التي شهدتها المنطقة العربية حتى لو لم يكن مشاركاً فيها ممثلاً في الحركات الاصولية الاسلامية على اختلاف فصائلها و أحزابها ...

المقدمة :

إندلعت في أواخر عام 2010 ومطلع عام ٢٠١١موجة عارمة من الثورات الشعبية في مُختلف أنحاء الوطن العربي بدأت بـ"محمد البوعزيزي" والثورة التونسية التي أطلقت وتيرة الشرارة في كثير من الأقطار العربية وعرفت تلك الفترة (بربيع الثورات العربية) , ومن أسباب هذه الثورات المفاجئة انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المعيشية، فضلاً عن الإستبداد السياسيّ وسوء الأوضاع عموماً في البلاد العربية . انتشرت هذه الاحتجاجات بسرعة كبيرة في أغلب البلدان العربية، وقد تضمنت نشوب معارك بين قوات الأمن والمتظاهرين ووصلت في بعض الأحيان إلى وقوع قتلى من المواطنين ورجال الأمن .تميزت هذه الثورات الشعبية بظهور هتاف عربيّ أصبح شهيرًا في كل الدول العربية وهو" :*الشعب يريد إسقاط النظام*."

وقد ظهرمصطلح (الربيع العربي)، لأول مرة، على لسان كبار صناع القرار السياسي الأمريكي (الرئيس أوباما و وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون) ، اثرالثورات الشعبية، التي جرت على الساحة العربية،والتي أطاحت ببعض رموز النظام السياسي العربي الراهن ، وتم تداوله في معرض وصفهم، للتغيرات الجارية على الساحة العربية،والتي تعكس تغيرا واضحا في موقف الإدارة الأمريكية، من حلفائهم بالأمس(نظام حسني مبارك)، الذين أطاحت بهم الثورة الشعبية،بتخليهم عنهم، ومسايرتهم بشكل جلي للوضع الجديد.

و لكن هذا لا يعني ان الثورات التي قامت بها الشعوب العربية ، والتي أطاحت بالأنظمة الدكتاتورية، ونستبعدها من حقيقة أنها جاءت استجابة للتحديات الداخلية ، و يمكن القول ان العوامل الداخلية والخارجية قد تضافرت لصنع إرادة التغيير في المنطقة العربية بصورة عامة .

(*) كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد. Email: AhmadAk@yahoo.com.

قد يكون من الصعب أو غير المتعقل عملياً محاولة القيام بالبحث عن ثورة أو حراك شعبي في طور التحول والتحرك لتقييمه و دراسة مضمونه، ومحاولة الخروج بعد ذلك بنتائج وتقييمات تحلل ما جرى وتأخذ العبرة للمستقبل، كما في حالة الثورات الشعبية التي تشهدها المنطقة العربية ، ولكنها تملك مشتركات عدة يمكن للباحث دراستها ، و اكثر المشتركات وضوحاً في الثورات الشعبية العربية هو غياب البعد الايديولوجي عنها ، وسوف نتناول في هذا البحث أولا طبيعة البيئة السياسية العربية لتبيان البيئة التي مهدت لهذه الثورات الشعبية ، و من ثم نتطرق الى طبيعة القوى الداخلية التي حملت على عاتقها التغيير و دور القوى الخارجية ثانيا ، و ماهية الايديولوجيا ووظائفها واهميتها واسباب غيابها عن الثورات العربية ثالثاً ، و نقدم قراءة او رؤية مستقبلية لما سيؤول عليه الامر في ظل غياب العامل او البعد الايديولوجي رابعا ...

فرضية البحث :

يتبنى البحث فرضية وحيدة مفادها : أهمية الايديولوجيا في اي عملية تغيير سياسي ، إذ تقدم الايديولوجيا رؤية شمولية و هي تعمل كأداة تنظيم قبل كل شيء ...

أولاً : طبيعة البيئة السياسية العربية

تعاني الدولة العربية من أزمة حكم لازمت سياق تطورها السياسي منذ الاستقلال بالرغم من كل محاولات التغيير والتحديث والدمقرطة التي شهدتها وحاولت إدخالها على بنيتها السياسية ، إذ عجزت تلك البرامج والسياسيات عن تعزيز وتطوير الحياة السياسية كونها جاءت بمحاولات جزئية أو شكلية أو ظرفية أو براغماتية لم تمس جوهر المشكلة وأبعادها الحقيقية ولم تتوصل إلى تأسيس مجال سياسي حقيقي وحديث مبني على مقتضى السياسة المدنية المعاصرة .

وعادة ما تكون الأزمة هي وليدة مجتمعها ، وهي تؤثر فيه تأثيراً مباشراً وتتفاعل مع معطياته واحوالهِ ، والتفاعل المتبادل بين الأزمة والمجتمع يحكمه في الأساس نمط البنية الفكرية السائدة في المجتمع ، فكلما كانت تلك البنية الفكرية ملائمةً وقادرة على تنظيم مسيرته وتعمل على تقوية دعائمه وروابطه ازدادت قدرة المجتمع على تجاوز أزماته ، فالأزمة هي مؤشر واضح لخلل ما قد اعترى إحدى بنى المجتمع ويلزم مواجهتها بالأساليب العلمية، حتى يمكن إعادته إلى توازنه الطبيعي، وسواء أحاطت الأزمة بالمجتمع أم الدولة فإنها تصبح جزءاً أساسياً من نسيج الحياة السياسية وحقيقة من حقائقها، ومرحلة متقدمة من مراحل الصراع ومظاهره على مستوى الدولة والمجتمع .

إن أزمة الحكم الغالبة على الحياة السياسية وان كانت ظاهرة عامة في الدول العربية إلا إنها قد تكون أكثر وضوحا في الدول التي أخذت نظمها بالشكل الجمهوري في ممارسة السلطة على وفق أهداف ومبادئ سيادة الشعب ومشاركته الواسعة في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية وكذلك تقديم المصلحة العامة

على المصلحة الخاصة وتجنب التفرقة وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية في مواجهة نظم الحكم السابقة التي استمدت شرعية وجودها من مصادر غير تفويض الشعب[1].

إن الدولة العربية الحديثة منذ نشأة كيانها وخلال مراحل تشكيل نظمها السياسية، ظلت تعاني من أزمة مستحكمة انطوت على أبعاد سياسية ومؤسسية، ترجع في جذورها إلى تضافر عناصر متنوعة أمتزج فيها ما هو موروث مع ما هو مستحدث.

إذ شكلت الشروط غير الطبيعية لولادة الدولة العربية الحديثة، الآلية التي تم فيها غرس البنى الأساس للدولة، فقد خرجت الدولة العربية من رحم الظاهرة الاستعمارية وبفعلها حملت تلك الولادة كل معاني تشوهات الشروط غير الطبيعية والمصطنعة، وأسست هشاشة جوهرية في بنية الدولة وطبيعتها الأولية لتستقطب بعض الخصائص التي لازمت الدولة في صيرورالها، وكان الجزء الأكبر من هذهِ الخصائص معنياً أساساً في عرقلة عملية إنجاز الدولة لوظائفها داخل المجتمع، فالدولة العربية لم تكن نتاجاً طبيعياً لمعطيات البنية الاجتماعية والاقتصادية أو استثماراً لها، كما أنها لم تكن من جانب آخر امتداداً أصيلاً للتجربة السياسية العربية التأريخية أو إفرازا حقيقياً متماثلاً لها بكل أشكالها التقليدية التي ما زال قسم منها مؤثراً عبر عمليات تكيفها وتفاعلها وفي أطار عملية التحديث وتجديد البنى السياسية أو تحولها وعلى مختلف مستوياته ومؤسساته[2].

انعدم تشكيل الدولة العربية على وفق معطيات اجتماعية وسياسية واضحة المعالم كما شهدها الواقع الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي للدولة القومية الحديثة في الغرب ومستنداً إلى قاعدة اندماجية تتجاوز الرابطة التقليدية لصالح الانتماء المدني والسياسي وعلى أساس من الديمقراطية السياسية والعلمانية والواقعية، بقيت الدولة العربية تجهل هذهِ الحداثة السياسية والثقافية واستمرت في شكلها الحديث خافية واقعاً داخلياً ذو بنية تقليدية متكلسة تهيمن فيها أيديولوجيا تقليدية[3]، وعلى الرغم من تعدد الآراء حول الأوضاع والمعطيات التأريخية لنشوء الدولة الحديثة في الوطن العربي يمكن وصف المجتمع المدني في اغلب الدول العربية بأنه مازال دون الحد الادنى من الانصهار المجتمعي والوطني الشامل الذي على اساسه تقوم الهوية الواحدة المتجانسة القادرة على البقاء، دون تدخل او رعاية السلطة المركزية، كما هو الحال في الدولة الاوروبية الحديثة.

اما الفرد والمجتمع، في الدولة القطرية العربية، فتتوزعهما وتتنازعهما ثلاثة ابعاد متباينة للولاء والهوية والانتماء، وهذه الابعاد الثلاثة او المركب الثلاثي للهوية الفردية والجماعية يتمثل بـ[4]:

١ــ البعد العقائدي و الثقافي والحضاري :

وهذا البعد يمثل الانتماء عقيدياً ووجدانياً وثقافياً، اي حضارياً بصورة عامة، الى الاسلام وحضارته الجامعة، ولابد من الاقرار ان هذا البعد يعد في سلّم القيم الفردية والجماعية للمسلمين البعد الاول والاعلى،

---

[1] **عمر جمعة عمران ، إشكالية البنية السياسية للنظم الجمهورية في المنطقة العربية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ٢٠١١ ، ص٢ .**

[2] **نزيه الأيوبي، الدولة المركزية في مصر، ط١، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩، ص٩١.**

[3] **برهان غليون، المحنة العربية الدولة ضد الأمة ،ط١، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٤، ص١٢٧.**

[4] **محمد جابر الانصاري، تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية، ط٣، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص٩٥.**

على الاقل من الناحية النظرية والمبدئية، غير انه تعرض باستمرار من الناحية الفعلية لضغط قوي ومنازعة شديدة من البعدين الآخرين المذكورين ادناه في هذه التركيبة الثلاثية.

٢_ البعد العصبوي (نسبة الى العصبية):

وهو يمثل الانتماء والعصبية للجماعة المحلية الصغرى التي ظلت بمثابة الشرنقة المزمنة والمستعصية على الذوبان، والتي ظل الفرد العربي ينتمي اليها ويحتمي بها في حياته اليومية اللصيقة بواقعه الحياتي والمعيشي، وذلك ضمن التشكيلات الاثنية للنسيج المجتمعي العربي من قبائل وعشائر وطوائف، ورغم ان الاسلام حارب العصبية القبلية وغيرها من العصبيات غير ان هذه العصبيات ظلت فاعلة بقوة في الواقع التاريخي للعرب والمسلمين، مما دفع اشهر مفكر اجتماعي وفيلسوف لتاريخ العرب (أبن خلدون)، الى تأسيس نظريته في التاريخ والمجتمع العربي من منطلق آليات تلك العصبية القبلية الأم.

٣_ البعد السياسي السلطوي (الدولة الوطنية) :

وهو البعد السياسي للكيانات والسلطنات والامارات والدول الوطنية الحديثة التي قامت في دائرة الحضارة العربية الاسلامية، بفعل المستعمر الغربي، وظل هذا البعد يمثل الواقع السياسي القائم، بالاختيار حيناً وبالاكراه احياناً كثيرة، الذي لم يكن للفرد والمجتمع الا القبول به والتعايش معه دون منحه ولاءه التام، او التطابق والتماهي معه بصفة نهائية، نظراً الى قوة جذب البعدين الاولين في الوقت عينه، ولعدم التوصل حتى الآن الى صيغة متوازنة ثابتة تقيم التصالح او تحسم التعارض بين قوى الجذب الثلاث في بنيان الهوية الواحدة.

كما ان، عملية النمو التأريخي للسلطة والدولة في الكيانات الوطنية العربية تمثل اشكالية بحد ذاتها، فليس من السهل الفصل الواضح بين ما للسلطة وما للدولة، فالسلطة هي التي تبني الدولة ومؤسساتها واجهزتها، أي ان السلطة في الكيانات الوطنية العربية هي "الحاضنة" لدولة وليس العكس او كما يجب ان يكون، لذلك فأن القضاء على "الحاضنة" الممثلة بشكل معكوس بالسلطة في الكيانات الوطنية العربية يمثل تهديداً لكيان الدولة، ولعل احساس افراد المجتمع بهذا التهديد والخطر من ضمن الاسباب التي تساعد الانظمة الحالية في الوطن العربي على الاستمرار في مواقع السلطة، إذ السلطة تتماهى مع الدولة ومع الكيان العام للوطن، بحيث لو انهارت السلطة أنهار معها كيان الدولة والوطن[٥].

فالسلطة بما تشمله من عناصر النظام والترتيب والمرتبية والشرعية هي التي تقوم بتأطير المجتمع ولحم عناصره، ولذلك فأن تدمير السلطة في احد عناصرها او مقوماتها الاساسية، من نظام او مرتبية او شرعية، ودخولها في ما يمكن تسميته الازمة البنيوية او التأريخية، يعني بالضرورة ضياع الاسس والقواعد التي يقوم عليها هذا التنظيم العام، ومن ثم الانفلات والانفكاك واخيراً تهديد النظام العام بالانهيار .

لقد كان على عاتق الدول العربية الحديثة اهداف كثيرة تسعى الى تحقيقها، يقف في مقدمتها اعادة صهر الجماعات المختلفة فيها، واعادة تشكيل وحدة وطنية واحدة منسجمة ومتجانسة تستجيب لما عدّته جوهر البنية الوطنية، الا انها تحولت بسرعة وباسم التحديث الوطني الى اداة لتنظيم العنف والتحكم التعسفي بالمجتمع،

[٥] برهان غليون ، نقد السياسة الدولة والدين، ط ٣، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٤،ص١٩٥.

وما لبث مفهوم الدولة الوطنية الحديثة والصاهرة، الذي الحق المجتمع بالسلطة كلياً وخلق، كأستجابة طبيعية له، مفهوم دولة الاقلية، او دولة النخبة المتنورة، سواء تماهت هذه النخبة مع الحزب الواحد، او مع قبيلة او طائفة ما[٦].

وبقدر ما صارت الدولة الوطنية العربية الحديثة اطاراً لتنظيم مصالح هذه الاقلية الحاكمة، اخذت ترتد بشكل عنيف على الجماعات المختلفة في المجتمع، لكسرها والحد من نفوذها او طموحها الى المشاركة في الحياة السياسية والسلطة العامة[٧].

و مما لاشك فيه، ان قضية الديمقراطية والمشاركة في الحياة السياسية و السلطة العامة ، ولاسيما في سياق التحولات التي مرت بها المنطقة العربية خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، قد حظيت باهتمام ودراسات عديدة وكثيراً منها انطلقت من تساؤلات لتبحث في أسباب أزمة الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي فوصل البعض منها إلى نتائج ترجع أسباب الأزمة إلى الأنظمة السياسية العربية القائمة، متهمة إياها بالوقوف عقبة في وجه التحولات الديمقراطية، بينما يرجع البعض الآخر أسباب ذلك إلى الوضع الاقتصادي العربي الذي لايحمل في طياته أي مظهر من مظاهر التقدم للمنظومة المجتمعية، ومن ثم فإن التخلف في الجانب الاقتصادي أدى إلى إخلال في بنية هذه المنظومة وطبيعة العلاقات القائمة بين عناصرها السياسية والاجتماعية والثقافية[٨].

وتثير الثورات الشعبية التي قامت في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، سؤالاً مهماً ومصيرياً حول مستقبل العرب السياسي ، ذلك أنّ هذه الثورات و عبر شعارها المركزي و المباشر المطالب بإسقاط النظم الديكتاتورية، تثير مجموعة من الأسئلة الاستراتيجية التي سينجلي عنها المشهد بعد سقوط النظم مباشرة، فالسؤال التالي للسقوط سيتمحور حول طبيعة النظام الجديد المنشود، وعند محاولة الإجابة عن هذا السؤال سنجد أنه يتفرع إلى مجموعة من الأسئلة الاستراتيجية المهمة.

والإجابة التي تطرح اليوم عن هذا السؤال هي أن البديل يتمثل في انتخابات حرّة ونزيهة و ديمقراطية تتيح للشعب حرّية اختيار حكّامه ، وهذا صحيح إلى حدّ كبير، لكن هل ينهي هذا الأمر كلّ المشاكل و التحدّيات التي تواجه الشعوب العربية في هذه المرحلة من تاريخها؟

إن الاسئلة الفرعية الاستراتيجية سوف تتمثل بالعديد من الاسئلة الاستراتيجية المهمة مثال ذلك ... ماهي صيغة العقد المنظم للعملية السياسية برمتها؟؟ اي ما صيغة الدستور؟ من سوف يملي فقرات الدستور الجديد المنظم للحياة السياسية العامة؟؟ ماهي طبيعة الافكار التي يعتنقها من سيملي نصوص الدستور؟؟ ما هي رؤيته ومعالجاته لمشاكل المجتمع برمتها السياسية والاقتصادية والثقافية ؟؟؟ هذه الاسئلة تدفعنا للبحث في طبيعة القوى التي حملت على عاتقها عملية التغيير؟.......

ثانياً : طبيعة قوى التغيير

---

[٦] **برهان غليون ، مصدر سبق ذكره، ص١٩٦.**

[٧] **المصدر نفسه ، ص١٩٧.**

[٨] **عمر جمعة عمران ، مصدر سيق ذكره ، ص٧.**

أ ــ القوى الداخلية

إن محركات الثورات والتغيير في العالم العربي تمثلت في أربع قوى رئيسة هي :الحركات الاحتجاجية الشبابية، والأحزاب والقوى السياسية المعارضة، وقوى عمالية ومهنية، وأخيرا قوى ذات أرضية طائفية وقبلية ومناطقية.

فقد شهدت الدول التي تتمتع بقدر عال من التجانس السكاني مثل مصر وتونس حراكا على أرضية سياسية وطبقية شاركت فيه قوى شبابية وسياسية ونقابية , بينما شهدت دول تعاني استقطابا طائفيا أو قبليا أو مناطقيا مثل ليبيا والبحرين واليمن حراكا أوسع على أرضية مناطقية أو طائفية ، ورغم وجود اختلافات مهمة في طبيعة القوى التي قادت هذه الثورات الشعبية فأن مطالبها تشابهت الى حد بعيد حيث ركز الثوار والمتظاهرون على مطلبين رئيسين هما الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، وغابت المطالب ذات الصبغة الطائفية والمناطقية ، وذلك بالرغم من محاولة النظم الحاكمة قولبة هذه الثورات في إطار طائفي كما حدث في اليمن والبحرين أو في إطار مناطقي كما حدث في ليبيا[٩].

تشابهت بعض النظم العربية في التعامل بالقوة مع المتظاهرين لمواجهة المطالبات بالتغيير ، حيث سقط الشهداء في تونس ومصر واليمن والبحرين وليبيا ,وفي الحين الذي انحازت فيه المؤسسة العسكرية الى مطالب التغيير في مصر وتونس ، فأنها بدت مساندة للأنظمة في اليمن والبحرين ، فيما اعتراها التفكك في ليبيا ، مما أسهم في عسكرة الانتفاضة وفتح الباب على مصراعيه للعامل الخارجي الذي تراجع تأثيره سرا وعلانية في مصر وتونس .

ان ابرز القوى التي مثلت المحرك الأول والحافز الأساسي للثورات هم الشباب (الفئة العمرية بين١٥و٢٩سنة) ويشكلون أكثر من ثلث سكان العالم العربي وأطلق عليهم (الطفرة الشبابية) وهناك من يحدها بين (١٥الى ٤٠ سنة) ويمثلون ٦٠%من سكان العرب.... وتعاني تلك الفئة أشكالا متعددة من الإقصاء والتمييز والتهميش جعلتها ساخطة على الأوضاع الراهنة ، وتعد البطالة من أهم المشاكل التي يعانيها الشباب ، وترتفع نسبها بشكل كبير ، فضلاً عن تدني مستوى الأجور وسوء ظروف العمل ، ومن ناحية أخرى والاهم ان الشباب العربي يعاني من إقصاء سياسي واضح حيث أدى غياب الحريات السياسية والمدنية وضعف الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني والانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان الى انصراف الشباب عن المشاركة السياسية من خلال القنوات الشرعية[١٠].

وحول علاقة الشباب بالوطن والوطنية يجب ان لا ينظر للشباب من خلال رؤية قاصرة و من منطلق فسيولوجي عن طريق السن بقدر ما يجب أن ينظر للشباب عبر تحليلات علماء الاجتماع والسياسة و الاقتصاد و تحليلات علماء السكان من خلال عد الشباب ظاهرة مؤثرة في الحراك الشامل للأمة في المجالات التنموية، وفي الجوانب العلمية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية، و كمتغير و مغير أساسي للمجتمع برمته و

---

[٩] **أمل حمادة ، أبعاد التغيير في السياسة الخارجية خلال مرحلة مابعد الثورة ،اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية ،ملحق مجلة السياسة الدولية ،عدد ابريل ٢٠١١،ص٢٤.**

[١٠] **احمد تهامي عبد الحي ، المفاجآت الإدراكية لجيل الثورات العربية ، تحولات إستراتيجية ، ملحق مجلة السياسة الدولية ، يوليو ،٢٠١١ ، ص١٥.**

كعنصر ثائر ونهضوي ومدرك لما يجري في الدهاليز السياسية لم تعد مغلقة فالمعلومة والخبر والصفقات أضحت في متناول الجميع بفعل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية وعلى سبيل المثال لاالحصر (وثائق ويكليكس ، خفايا الحروب ، صفقات السلاح ، غسيل الأموال ، مؤشرات البورصة وسوق العمل، التمويلات السرية ، الأدوار الاستخباراتية والمخابراتية ، فضائح السياسيين ورجال الأعمال ونهب الثروات والفساد ..الخ.

إذاً .. نحن أمام جيل يمتلك القدرة والإدراك والفهم ،جيل يختلف عن أجيال السبعينيات والثمانينيات ، جيل استحق لقب (جيل الثورات العربية) فهذا الجيل اتسم بمجموعة من الملامح التي تراوحت ما بين انخراطه في العولمة بقيمها والياتها وافقها ، وارتباطه بمحلية تكوينه السوسيولوجي لجهة الهوية العربية والإسلامية.

ويمكن اجمالاً القول ان ملامح الجيل الشبابي للثورات العربية اتصافه بـ[١١]:

١ ــ تنشئة سياسية شبكية لاهرمية ، اذ خرج جيل الثورات العربية من رحم تنشئة شبكية لم تدركها الأبنية السياسية السلطوية في المنطقة العربية ، فاستخدام (الفيس بوك) وبقية وسائل الاتصال الاجتماعي ليس مجرد أداة تواصل كما يراها البعض فحسب بل تحمل قيماً تسللت لتلك الشريحة الجيلية ، وتجعل من الممارسات في هذا العالم الشبكي تكسر السلطة وتدفع مستخدميها الى بلوغ الاهداف السياسية.

٢ ــ تمازج العالمي والمحلي وهو عامل مهم في فهم الجيل الجديد للثورات العربية ,فهذا الجيل تخطى مرحلة الادلجة الى الانخراط والتطلع لبناء عالم جديد يوائم بين عالميته ومحليته.

و عامل الادلجة و تخطيها او غيابها هو محور دراستنا ... فالايديولوجيا بالرغم ما يشوبها من عيوب مثل : عدم حيادتها .. غلبة عامل المصلحة .. عدم علميتها .. غياب العقلانية او القرار العقلاني .. الخ[١٢]. إلا انها تبقى عامل مهم وأداة تنظيم للكل عملية تغيير سياسي.

ب ــ القوى الخارجية

يُعّد العامل الخارجي من العوامل المؤثرة جداً في عملية التغيير التي شهدتها المنطقة العربية، و لا يمكن لأي متابع اغفال دور الغرب ممثلاً في الاتحاد الاوروبي بقيادة فرنسا من جهة و الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى في دعم الثورات العربية على كافة الاصعدة سواء كان دعماً اعلامياً او سياسياً او عسكرياً مباشراً كما حدث في ليبيا .

و تذكر صحيفة النيويورك تايمز في تقرير لها بالقول (بينما ضخت الولايات المتحدة مليارات الدولارات في برامج عسكرية أجنبية وحملات لمكافحة الارهاب، هناك جزء صغير من الميزانية تم تكريسه لتمويل حركات تعزيز الديمقراطية في الدول العربية الديكتاتورية. إلا أن الأموال التي أنفقت على هذه البرامج تعد شيئاً بسيطاً بالمقارنة بالجهود التي قامت بها وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاغون " من أجل توطين الديمقراطية في العالم العربي، و لكن حاليا حينما ننظر إلى الربيع العربي ، ونرى الدور الذي لعبته أمريكا لبناء الديمقراطية في العالم العربي نكتشف بأن دور أمريكا في تأجيج الاحتجاجات كان أكبر مما كان يتصور من قبل)[١٣].

[١١] **احمد تهامي عبد الحي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥ .**

[١٢] **انظر في ذلك : بكري خليل ، الايديولوجيا و المعرفة ، ط١ ، عمان ، دار الشروق ، ٢٠٠٢ ، ص٧٨.**

[١٣] **صحيفة النيويورك تايمز، نقلاً عن موقع شبكة الانترنيت وعلى الرابط :**

و تضيف الصحيفة بالقول (فقد اتضح أن قادة حركات الاحتجاج قد تم تدريبهم من قبل الأمريكان عبر حملات و منظمات بواسطة وسائل الاتصال الحديثة. و وفقاً لمقابلات مع مسؤولين دبلوماسيين و البرقيات التي حصلت عليها ويكليكس فأنه قد تلقى عدد من المجموعات والافراد المتورطين مباشرة في الثورات العربية التي اجتاحت المنطقة بما في ذلك حركة شباب ٦ إبريل في مصر و مركز حقوق الانسان في البحرين و حركات شعبية مثل انتصار القاضي في اليمن كل أولئك تلقوا التدريب والتمويل عبر جماعات مثل المعهد الجمهوري و**المعهد الديمقراطي الوطني** و **فريدوم هاوس** ، وهي منظمة لحقوق الإنسان ومقرها في واشنطن. إن نشاط هذه المجموعات عادة ما كان يثير توترا بين واشنطن و زعماء دول عربية كانوا يشتكون من أن سلطاتهم تتعرض للتقويض من خلال دعم واشنطن لتلك الجماعات عبر جمعيات أنشأت من قبلها و يمولها الصندوق الوطني للديمقراطية الذي أنشئ في عام ١٩٨٣ لتوجيه المنح من أجل تعزيز الديمقراطية في الدول النامية، ويتلقى الصندوق الوطني حوالي ١٠٠ مليون دولار سنويا من الكونغرس، وتحصل فريدوم هاوس أيضا على الجزء الأكبر من تمويلها من الحكومة الأميركية، وتحديدا من وزارة الخارجية)[١٤] .

اما النوع الثاني من الدعم فقد تمثل بالتدخل العسكري الغربي المباشر لقوات الناتو لدعم الثوار في ليبيا اذ تم إسقاط النظام السياسي لحكم العقيد القذافي ، و يحاول الغرب تكرار هذا المشهد مع الثورة في سوريا الا ان الفيتو المزدوج (روسي ــ صيني) قد فوت الفرصة للغرب بتكرار المشهد الليبي نفسه، و يحاول الغرب بقيادة الولايات المتحدة طرح نوع أخر من الدعم العسكري لثوار سوريا عن طريق مشروع تسليح جيش سوريا الحر المنشق عن الجيش النظامي ، الا ان هذا المشروع ما زال قيد البحث و الدراسة.

ويمكن القول بأن الدول الغربية إنما تدخَّلت في هذه الثورات بهذا الشكل لجملة من الأسباب، وهي تحدد السيناريوهات المستقبلية المحتملة، ومن هذه الأسباب ما يأتي[١٥] :

١ــ تحسين صورة الغرب عند الشعوب؛ خاصة بعد أن أصبحت الشعوب تنظر إليه على أنه مستعمِر ومعادٍ لها؛ وذلك لممارساته تجاهها، ومن ذلك:

ــ عون الغرب لهذه الأنظمة فترة من الزمن في كل المجالات على ظلم الشعوب وكبتها.

ــ والعدوان الذي مارسه الغرب على الأمة الإسلامية والعربية تحت ما يسمى بمكافحة الإرهاب! الأمر الذي ولَّد حقداً وكراهية للغرب.

٢ــ رجحان كفة الشعوب على كفة الحكام، وهذا يدفع الغرب للتعاون مع الأقوى والأرجح بسبب المصالح؛ لأن الغرب لا تحكمه الأخلاق بل المصالح الضيقة.

٣ــ استباق الأحداث ومحاولة كسب ودِّ الحكومات القادمة التي ستقوم على الثورية الشعبية.

---

http://secretsearth.wordpress.com/2011/12/25

[١٤] المصدر نفسه.

[١٥] علاء الدين الأمين الزاكي ، التدخل الأجنبي في الثورات العربية ، شبكة الانترنيت و على الرابط :
http://www.albayan.co.uk/MGZarticle.aspx?ID=1699

٤_ تنامي التيارات الإسلامية – خاصة السلفية – وانحسار التيارات العَلمانية واليسارية والقومية، وانتشار حب الإسلام بين أفراد الشعوب العربية وصعود التيارات الإسلامية للواجهة في شتى المجالات مما دعى الغرب للاسراع بعملية احتواء و ارضاء مسبق لهذه التيارات الاسلامية.

و يمكن القول إجمالاً ان تضافر القوى والعوامل الداخلية مع القوى والعوامل الخارجية صب بالنتيجة النهاية في تأجيج الثورات و عملية التغيير السريع التي شهدتها المنطقة العربية .

ثالثاً : ما هي الإيديولوجيا ؟

ما هي الايديولوجيا ؟ ماهي خصائصها ؟ ماهي وظائفها ؟ ماهي عناصرها؟ ماهي تصنيفاتها ؟ وأسباب غيابها عن الثورات العربية؟!

١ _ ماهي الإيديولوجيا ؟

يتكون مصطلح الايديولوجيا من كلمتين هما (Idea) ومعناها فكرة ، و Loges ومعناها علم . اذن ، فالايديولوجيا تعني علم الأفكار ، ويراد بها ذلك العلم الذي يدرس الأفكار من حيث نشأتها واشكالها وقوانينها[16]. ويبدو ان هذا المعنى قريب من معنى مصطلح المنطق (Logos) " والذي يعرف بأنه العلم الذي يبحث في تحقيق القواعد العامة للفكر الصحيح ،حسب تعريف (كينز) للمنطق"[17]، وقد أشار (علي سامي النشار) بهذا الصدد الى ان كلمةlogike تدخل في لفظ كل علم من العلوم ، باعتبار ان المنطق علم كل العلوم ، وأن عناصره أو مبادئه تنطبق على كل العلوم"[18] ولهذا السبب ليس غريباً أن يدرج دي ستوت دي تراسي (١٧٥٤ – ١٨٣٦) صائغ مصطلح ايديولوجيا Ideology ، في القرن الثامن عشر " المنطق" كعنصر من عناصر الايديولوجيا الخمسة"[19].

اما عن تعريف الإيديولوجيا ، فنحن ازاء مجموعة من التعاريف البعض منها ذو نظرة أحادية تحمل رؤية سلبية تارةً و تخصصية تارةً أخرى ، ومثال للنظرة السلبية يعرف (ريمون آرون) على سبيل المثال ، على انهاعبارة عن تصورات ذاتية تأتي الى الواقع من الخارج بل ويذهب مع نهاية ستينيات القرن العشرين الى ان الايديولوجيا " هي افيون المثقفين بوصفها منظومة لتفسير العالم الاجتماعي تنطوي على نظام من القيم المقبولة وتقترح اصلاحات ينبغي انجازها وانقلاباً يخشاه الناس أو يأملونه[20]. لكن هذا التعريف يخفي النزعة التبريرية التي قدمتها بعض الايديولوجيات وصولا الى اعتباره انها (الايديولوجيا)فكرة عدوانية

و تماشياً مع هذه النظرة السلبية يعرّف (ريمون رويه) الايديولوجيا بأنها نظرية مزورة ، مبسطة ، غير متحققة ، منظومة تأويل يتكيء اصحابها عليها بصورة اعتقادية كي ما يطلقوا احكامهم على المجتمع وعلى

---

[16] **سمير أيوب، تأثيرات الايديولوجيا في علم الاجتماع، ط١، بيروت، معهد الأنماء العربي، ١٩٨٣،ص٢٧.**

[17] **علي النشار،المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ،ط٢،مصر،مكتبة الاسكندرية،١٩٨٨ ، ص١٢.**

[18] **المصدرنفسه، ص٢.**

[19] **بكري خليل ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٢ .**

[20] **عماد فوزي شعيبي ، الاشكالية الابستمولوجية للايديولوجيا ، من الانترنت :**

www.dascayriamag.net/modules news/article.php?storyid=8&page=1

الحياة الانسانية، وانها تستجيب لشهوة الفهم، ولكنه فهم يتبع شهوة الاعتقاد. إنها منظومة ادراك، وهي تشبه اسطورة أو عقيدة دينية... الايديولوجيا تنزع في الغالب الطبيعة الانسانية عن الانسان[21].. ان هذه النظرة السلبية للايديولوجيا دفعت بالبعض الى ان ينظر اليها كأنها " مرادفة للدكتاتورية و التسلط أو فرض آراء ذات ميول عدوانية على الافراد والشعوب . بهدف الارهاب والاذلال وبسط النفوذ داخل البلاد وخارجه[22].

ويطبق (محمد رجا الديريني) النظرة نفسها على الايديولوجيا وان كانت بشكل أخف من النظرة السابقة و يلخص معاني الايديولوجيا في النقاط الآتية[23]:

- الايديديولوجيا هي نمط أو طريقة للتفكير في القضايا الانسانية . السياسية والاجتماعية والاقتصادية . من منطلق عقائدي .

- وهي كذلك تعني محتوى الفكر من مقولات و مواقف و توجهات و غايات .

- كما انها تنطوي على تقييم و تشير ضمناً أو صراحةً الى :

(أ) ان هذا الفكر ، بنمطه و محتواه ، محكوم بموقع من يحملون لواءه في البنية الاجتماعية و موقعهم في التاريخ ، و إنه لذلك :

— محدود وجزئي ولا يمكن ان يكون مطلقاً و دائماً و صالحاً لكل زمان و مكان .

— وينطوي على مقدار كبير أو صغير ، شعوري أو لاشعوري ، من تحريف للحقائق أو تشويشها أو تزييفها أو اخفائها .

(ب) وان الدافع ، الشعوري أو اللاشعوري ، وراء تحريف الحقائق (زيادة أو نقصاناً تشويهاً أو تجميلاً) هو الرغبة في وقف أو ابطاء التغيير، والاحتفاظ بالوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على حاله.

- كذلك فإن الايديولوجيا تشير ضمناً أو صراحةً الى ان الفكر الايديولوجي . بنمطه و محتواه ، لا يتفق مع سنة الحياة و حقائق العصر و متطلبات الوضع ، لذلك فإنه :

(أ) فكر خاطئ و تافه و عقيم .

(ب) و يجب احتقاره و رفضه .

(ج) كما يجب التحول عنه الى فكر يكون واقعياً ومن ثم عملياً مفيداً .

ان هذا التحديد لمعاني الايديولوجيا جاء متأثراً بما ورد في قاموس ويبستر webster الشهير ، فضلاً عن المعنى الماركسي للايديولوجيا (أي الايديولوجيا بوصفها وعياً زائفاً)، كما وينظر الى الايديولوجيا بكونها أداة للحفاظ على الوضع القائم فقط دون تغييره. ويبدو ان هذه النظرة متأثرة بنظرة (مانهايم) للايديولوجيا وهي

---

[21] ريمون رويه ، الممارسة الايديولوجية ،ط١، ترجمة عادل العوا، بيروت،مكتبة عويدات، ١٩٧٨، ص ١١٢.

[22] عبد الغني عبود ، الايديولوجية و التربية مدخل الى التربية المقارنة،ط١ ،القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦ ، ص ٥.

[23] ينظر مقدمة كتاب كارل مانهايم . الايديولوجيا واليوتوبيا ، ترجمة د. محمد رجا الديريني ،ط١،الكويت، شركة المكتبات الكويتية، ١٩٨٠، ص ٤٦– ٤٧.

نظرة تقوم على أساس ان الايديولوجيا هي أداة للحفاظ على الوضع القائم دون تغييره ولذلك فالايديولوجيا تكون وعياً زائفاً بالضرورة .

و تعرف الايديولوجيا من منطلق علاقتها بالنظام السياسي على انها " الايديولوجيا السياسية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي يعتنقها الناس تجاه نظامهم السياسي ومؤسساته وكذلك تجاه مواقعهم وأدوارهم الشخصية فيه . وبموجب هذا التعريف تظهر الايديولوجيا السياسية كأنها مرادفة لـ " الثقافة السياسية " أو" التقاليد السياسية"[٢٤]. فهذا التعريف يجعل من الايديولوجيا أداة إما لتغيير النظام السياسي أو لحفاظه . في حين ان التعريف الذي يذكره (ابراهيم درويش) والذي يرى بأن بالايديولوجيا السياسية هي مجموع الأفكار والاعتقادات المتعلقة بالدولة والحكومة التي تكون جوهر العقيدة، وفي ذات الوقت مصدر الطاعة الدائم للقوى السياسية[٢٥] يجعل من الايديولوجيا فقط أداة بيد النظام السياسي والقوى السياسية المشكلة له وذلك لكسب الشرعية .

اما عن الصنف الثاني من التعريفات (أي التعريفات ذات الابعاد المتعددة)، وهي تضم التعريفات التي تنظرالى الايديولوجيا من منظور واسع وشامل بحيث تتناول مختلف ابعاد الايديولوجيا السياسية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية والنفسية...

و هنا نجد لـ (كارل ماركس) أكثر من تعريف للايديولوجيا ويكفي أن نشير الى أن مصطلح الايديولوجيا استخدم من قبل (ماركس) بأكثر من معنى ؛ ففي كتاب ((الايديولوجية الالمانية)) تظهر الايديولوجيا بمعنى واسع لدرجة انها تشمل الثقافة أو الأفكار بصورة عامة: "... ان الأخلاق ، والدين، والميتافيزيقيا، وكل البقية الباقية من الايديولوجية، وكذلك أشكال الوعي التي تقابلها، تفقد كل مظاهر الاستقلال الذاتي..."[٢٦]. كذلك وصف (ماركس) الفلسفة الالمانية ممثلة بفلسفة الهيجليين الشبان بأنها ايديولوجيا (الايديولوجيا بمعنى الوعي الزائف) لانها ترى أن الأفكار هي التي تصنع الواقع وليس العكس[٢٧]. كذلك أشار (ماركس) الى أن الايديولوجيا (أو الأفكار بصورة عامة) هي وسيلة بيد الطبقة السائدة لاضفاء الشرعية على سلطتها من خلال تمثيل مصالحها الطبقية كأنها مصالح الجميع وبذلك تسعى الطبقة السائدة وعن طريق الايديولوجيا لإخفاء الصراعات الطبقية[٢٨].

و ينظر فرانسوا شاتليه للايديولوجيا نظرة ذات ابعاد متعددة أيضاً إذ يعرف الايديولوجيا بـ " هي المنظومة المتفاوتة التلاحم لصور وأفكار ومبادىء اخلاقية وتصورات كلية وحركات جماعية وطقوس دينية وبناء قرابة وتقنية بقاء (ونمو) وتعبيرات نسميها ،الآن، فنية وخطابات اسطورية أو فلسفية وتنظيم سلطات ومؤسسات

---

[24] **Macridis , Roy C. Contemporary political ideologies, N.Y ; by Dood , mead & Company , third edition, 1986 , p 2**

[٢٥]ابراهيم درويش، النظام السياسي دراسة فلسفية تحليلية ،ج١،ط٢،القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٩٦،ص٤٥ .

[٢٦]كارل ماركس ، فردريك انجلز ، الايديولوجية الالمانية ، ترجمة د.فؤاد ايوب ،دمشق، دار الدمشق، ط١ ، ١٩٧٦ ، ص٣١.

[٢٧]المصدرنفسه ، ص١٩.

[٢٨]المصدر نفسه ، ص٥٦_٥٧.

ونصوص وقوى تضعها هذه الاخيرة موضع العمل، منظومة غرضها ان تضبط ، داخل جماعة أو شعب أو أمة أو دولة، العلاقات التي يقيمها الافراد مع ذويهم، ومع الاشخاص الغرباء والطبيعة والخيالي والرمزي والآلهة والآمال والحياة والموت"[٢٩].

يبدو ان هذا المعنى يقترب من المصطلح الالمانيWeltanschaung أي رؤية العالم على اعتبار ان هذا الاخير لا يتضمن المعرفة فقط بل ، ويتضمن الرغبات والاهواء والممارسات ايضاً . والايديولوجيا صيغة لهذه الوجوه المختلفة ، كما يركز على جانب التنظيمي للايديولوجيا من حيث الدولة ، الأمة ، الشعب .
و يعرف بكري خليل الايديولوجيا بشكل أكثر تعدداً و شمولياً إذ يقول " هي نظام من الأفكار يتكون في مرحلة تاريخية معينة لتوجيه الممارسات والسلوك الفردي والجماعي نحو أهداف تتصل باثبات الذات ، وتنبع عن تصور للهوية ورؤية للعالم و مطالب الحياة استنادا الى مرجعية القيم والمعتقدات ، وتعبيرا عن مستوى الثقافة و وعي الحقوق، مما يشكل معياراً للفرد والمجتمع في التصرف وتحديد المواقف ، وتحديد الاتجاهات في النظر للماضي ، وما ينبغي عمله في الحاضر والمستقبل ، واختيار الاساليب المؤدية اليه"[٣٠].

ان التعريف المذكور يغطى معظم أبعاد الايديولوجيا (التكوينية والماهوية والوظيفية والبنائية) لكن عبارة ((... مرجعية القيم والمعتقدات ...)) تؤكد ان النزعة الغالبة في هذا التعريف تنطلق من الاتجاه الوضعي في النظر الى الايديولوجيا بحيث يدمج الدين (كمنظومة قيمية واعتقادية) ايضا وبشكل ضمني في عداد الايديولوجيات العلمانية ، كما وان هذا التعريف يعطي الأولوية للافكار (هنا الايديولوجيا) في صنع الواقع وتغييره . كذلك لم يتطرق التعريف المذكور الى الجانب النفسي للايديولوجيا خصوصاً جانب اللاوعي فيها .

٢ _ خصائص الإيديولوجيا

ان تعدد ابعاد الايديولوجيا الاجتماعية و السياسية و الفلسفية والفكرية بصورة عامة افضى الى شمولية مفهوم الايديولوجيا و اتساعه ، وانعكس هذا الأمر على تعدد مستويات و خصائص الايديولوجيا وهذا بدوره ادى الى اختلاف وجهات نظر الباحثين حول ما تتمتع به الايديولوجيا من خصائص تميزها عن المفاهيم الأخرى ، كما وان اعتماد الباحثين على المناهج المختلفة لمعالجة الايديولوجيا أفضى الى اختلاف وجهات نظرهم حول خصائص الايديولوجيا . لكن رغم ذلك ، فإن هناك شبه اجماع بين الباحثين على مسألة وهي ان الايديولوجيا تظهر و تنشط في ظروف الازمات وعدم الاستقرار الذي يمرّ بها المجتمع[٣١].

[٢٩] **فرانسوا شاتليه . تاريخ الايديولوجيات ،ترجمة:انطوان الحمصي ،ج ١، ط١،دمشق، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٩٧، ص٦.**

[٣٠] **بكري خليل ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٧ .**

[٣١] **عبد الكريم سروش ،الدين أرحب من الايديولوجيا امتناع اختزال الدين في الايديولوجيا ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ، العدد (٢٦)، السنة (٨) ، شتاء ٢٠٠٤– ١٤٢٤، ص ٢٤٣_ ٢٤٥ .**

و الايديولوجيـة السياسـية هـي " الـتي يكـون محورهـا مسـتمداً مـن السياسـة و قضـاياها . كالايديولوجيـة الديمقراطية الليبرالية والايديولوجية الاستقلالية وايديولوجية الثورة " وتتكون الايديولوجيا السياسية من مجموعة مفاهيم التي تتميز بالخصائص الآتية[٣٢]:

١- انها تتعامل مع تساؤلات من نوع : من هم الحكام ؟ وكيف سيتم اختيارهم ؟ وماهي المبادئ التي يحكمون بموجبها ؟

٢ – هذه المفاهيم تشكل نوعاً من الجدل أو الحوار بين وجهات نظر متعارضة .

٣ – انها كمجموعة مفاهيم متكاملة تُؤثر على قيم الحياة الرئيسة .

٤ – تتضمن برنامجاً للدفاع أو اصلاح أو الغاء مؤسسات اجتماعية مهمة .

٥ – انها من الناحية الجانبية أو الجزئية تُبرّر مصلحة جماعة ما و لكن ليس مصالح كل الجماعات .

٦ – انها ذات طابع معياري و اخلاقي على مستوى الشكل و المضمون .

٧ – انها بالضرورة جزء من سياق اعم و اشمل يتضمن نسق الاعتقاد بأكمله ، ومن ثم

فإن الايديولوجيا السياسية تشترك في الخصائص البنائية و الهيكلية نفسها المميزة لهذا النسق.

وبهذا المعنى إن الايـديولوجيا السياسية " تنصـب أساسـاً علـى توزيـع القـوة السياسية و تعـالج مسـائل شـرعية السـلطة و اسـس القيـادة و اشـكال الحكـم الدسـتوري و اجراءاتـه و السياسـة العامـة ، فمحـور الايـديولوجيا السياسية هو وجود جماعات سياسية ذات وجهات نظر خاصة تسعى للوصول الى السلطة أو المحافظة عليها ، والفكـر السياسـي الايـديولوجي في هـذه الحالـة (أي عنـد التعامـل مـع السـلطة السياسـية) تحمـل جملـة مـن الخصائص تحدد بموجبها ايديولوجية هذه الجماعة أو تلك ، وهي[٣٣]:

١ - انها فكر مشتق من العمل ،و العمل الذي ترتبط به الايديولوجيا اشتقاقاً و تجسداً هو عمل جماعة تاريخية معينـة . وعلـى هـذا الأسـاس تكون كل نظرة ايديولوجية الى السياسـة نظرة جماعة معينـة أو نظرة باسـم جماعـة معينة الى السياسة و مشكلاتها الراهنة . و النظرة الايديولوجية الى السياسة هي نظرة جماعة معينة (أمة ، طبقة ، طائفة ، عرق ، اقلية ،...) الى وضـع سياسي قـائم ، في سبيل خدمة فاعليتهـا السياسية . وفي هـذا السياق يجـب التمييـز بـين جماعـة تسـعى للحفـاظ علـى النظـام القـائم ، وأخـرى تسـعى الى الوصـول الى الحكـم في اطـار النظام القائم ، و ثالثة تسعى الى احلال نظام جديد محل النظام القائم.

٢ – الايديولوجية فكـر مشتق من اجل العمـل . وهـذا يعني ان النظرة الايديولوجية الى السياسة هي بالضـرورة نظرة غائية . فالفكر الايديولوجي يحدد الغايات التي يجب تحقيقهـا في السياسة أو بواسطة السياسة و الغاية في الفكـر الايـديولوجي السياسي هي علة ما ينبغي التوصل اليه تحقيقـاً لتطلعات الجماعة التي يعبر عنهـا . فهـي نتيجة للمبادئ المعتمدة أصلاً، وهذه لا مجال للمسـاومة أصلاً و النقـاش فيهـا . فأمـا ان تـُقبل و أمـا ان تـُرفض

[٣٢] **عماد أحمد مولود ، إشكالية الإيديولوجيا و اليوتوبيا في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ٢٠٠٧ ، ص٧٣ .**

[٣٣] **ناصيف نصار ، الفلسفة في معركة الايديولوجيا ،ط٢، بيروت،دار الطليعة، ١٩٨٦ ، ص ٢٤٩ – ٢٥١.**

. كما و تلعب الغائية على صعيد التفسير و التقييم الايديولوجي الموجه دوراً في تحديد ما هو مرغوب و ما هو غير مرغوب في النظام القائم.

٣ – النفعية ، ان طبيعة الفكر السياسي الايديولوجي هي طبيعة نفعية ، فهو فكر لا يبحث عن الحقيقة المجردة في كمال ذاتها ، وانما عن الفكرة النافعة (على سبيل المثال، وجود فكرة العدو الايديولوجي وهي مقوم من مقومات الفكر السياسي الايديولوجي ، سواء كان هذا العدو حقيقياً أو وهمياً) . لذلك قد تكون الفكرة النافعة حقيقة أو نصف حقيقة أو ضنّاً أو تشويهاً أو تشكيكاً أو تمويهاً أو وعداً أو ضلالة من الضلالات أو وهماً من الأوهام . والنافع في السياسة هو ما سيساعد الجماعة على الوصول الى الحكم، أو المحافظة عليه.

٤ – ارادة الاجماع: يسعى الفكر السياسي الايديولوجيي دائماً لأن يجعل من الايديولوجيا تثير أو تُثبِّت أو تُحافظ على الاجماع . الاجماع في التصور و الدوافع و الفعل، وانها لا تنجح دائماً في ذلك و لذلك فغالباً ما تكون مبدأ شقاق و مصدر صراع داخل الجماعة أو بين الجماعات بعضها مع بعض.

٣ _ وظائف الايديولوجيا

الايديولوجيا سواء كانت حقيقية أو مزيفة ، احكاماً مسبقة أو واقعية ... تؤدي وظائف معينة كما وانها نتاج للعلاقات الاجتماعية وظاهرة ترتبط بالذات فرداً أو جماعةً . لذلك فإنها بالضرورة تعمل في وسط مجتمعي عام تسعى الى تلبية حاجات الذات السياسية و الاجتماعية و النفسية والمعرفية و تحدّد لها أهدافها . أن الاستعمال المعاصر للايديولوجيا في أدبيات العلوم السياسية يركز على وظيفة الايديولوجيا و بنيتها الخارجية و شكلها العام ، بدلاً من التركيز على بنيتها الداخلية و المعنى الحقيقي لها و الذي تميز به تعريف المفهوم خلال القرن التاسع عشر أي التعريف الذي ركّز على مفهوم الوعي الزائف . ويمكن للايديولوجيا القيام بالوظائف الآتية :

أ _ وظائف سياسية

العلاقة بين الايديولوجيا و السياسة علاقة متداخلة و " تكاد الايديولوجيا في الاستعمال اليومي ان تكون مرادفة للسياسة ، وكأن الايديولوجيا هي مضمون السياسة و كأن السياسة هي التطبيق العملي للايديولوجيا . وهذا الترادف لا يخلو من صواب ؛ لأن الايديولوجيا مرتبطة ارتباطاً قوياً بالسياسة و السلطة . فكل سياسة و كل سلطة تتضمن ايديولوجيا و تصادر عليها صراحةً أو ضمناً ، كما ان كل ايديولوجيا تتضمن نظرة للحياة السياسية و تستهدف في النهاية الوصول الى السلطة على الاقل لتطبيق و اختبار نظرتها. والايديولوجيات التي تدّعي انها لا تهفو الى السلطة انما تفعل ذلك من باب التمويه أو الاخفاء أو التستر ؛ لأنه لا وجود لايديولوجيا تعبئ الناس من اجل لا شيء ، أو من اجل المعرفة فقط ؛ لأن الايديولوجيا في جوهرها فكر عملي ، تعبوي يهدف أما الى الحفاظ على العالم الاجتماعي كما هو أو الى تغييره نحو الأحسن. و بجانب كونها فكراً عملياً فهي ايضاً فكر في خدمة سلطة ، سواء كانت هذه السلطة قائمة أو في الطريق الى الاستيلاء عليها أو آيلة للسقوط "[٣٤].

[٣٤] **محمد سبيلا ، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية ،ط١، بيروت،المركز الثقافي العربي ،١٩٩٢ ، ص ٥٧.**

من هذا المنطلق يمكن البحث عن الوظيفة السياسية للايديولوجيا وذلك من خلال الجوانب الآتية:

١- **وظيفة شرعية** : اذا كان (نابليون) يحارب الايديولوجيا ، هذا العلم الجديد انذاك ، خوفاً من ان تنزع الشرعية عن سلطته التوسعية و سياساته البراغماتية ، فإن الايديولوجيا باتت اليوم وسيلة مهمة لا بل من اهم الوسائل التي يتبعها الحكام لاضفاء الشرعية على سلطتهم و سياستهم . ولذلك فاذا كانت الشرعية هي صفة ملازمة للسلطة[٣٥]، فإن الايديولوجيا هي التي تقوم باضفاء الشرعية على السلطة ، أياً كان نوعها و شكلها ، كيف؟ ...

لقد طُرحت قضية الشرعية من قبل (ماكس فيبر) و الذي ميّز بين ثلاثة أنواع من السلطة الشرعية على النحو الآتي[٣٦]:

أ – سلطة قانونية . تقوم على أساس عقلاني ومصدره الاعتقاد والقناعة بقواعد و معايير موضوعية . و تفويض من يقبضون على تقاليد السلطة الحق في اصدار أوامرهم بهدف اتباع هذه القواعد و الحفاظ عليها .

ب – السلطة التقليدية . وهي مرتبطة بالاعتقاد بقدسية التقاليد و شرعية مكانة السلطة و من يمثلها .

ج – السلطة الكاريزمية . و تعني الولاء المطلق لسمة كالبطولة أو لشخص يحتذى به أو نظام ابتدعه أو دعمه زعيم ما .

هذا التصنيف جاء على أساس الفكرة القائلة بأن " كل نظام اجتماعي يسعى بشكل ما الى الحصول على موافقة أولئك الذين يحكمهم . وهذه الموافقة الممنوحة للقوة الحاكمة هي ما يضفي الشرعية على حكمها . اذن يدخل هنا عاملان : هما ادعاء الشرعية من قبل السلطة الحاكمة ، و الاعتقاد بشرعية النظام الذي تقدمه رعيته "[٣٧] وهنا تحدث الايديولوجيا في الفجوة الناجمة بين ادعاء نظام للسلطة بالشرعية و استجابة المواطنين بلغة الاعتقاد به[٣٨].

بهذا المعنى فإن " الايديولوجيا ليست فقط مجرد تبرير امتيازات الطبقة السياسية و سلطتها، فهي ايضاً جزء فعّال في النظام الاحتماعي ، الذي هو في حدّ ذاته اعادة انتاج الايمان في النظام و ليس خوفاً منه فقط ، لذلك يجب اضفاء الشرعية و ذلك بقبول اعضاء المجتمع احلاقياً و طوعاً اذا اريد للاستقرار ان يتأكد "[٣٩].

٢- وظيفة التعبئة و السيطرة : لكي تمارس الايديولوجيا تأثيرها على المواطنين عليها أن تؤدي وظيفة التعبئة ، و التعبئة " تمثل احدى الوظائف الأساسية للايديولوجيات السياسية الحديثة ، وتتضمن هذه الوظيفة عمليات مختلفة فيها جذب للافراد الذين يكونون على استعداد للعمل و تقديم التضحيات المختلفة التي يتطلبها العمل السياسي ، وتعمل الايديولوجيا ايضاً على اعادة ايقاظ أو اعادة تحريك ، أو في بعض الاحيان

---

[٣٥] **ناصيف نصار، منطق السلطة مدخل الى فلسفة الأمر ،ط٢،بيروت،دار امواج ، ٢٠٠١ ، ص ١٤.**

[٣٦] **وليد حمارنة ، علاقات السيادة المثالية أم مثالية سيادة العلاقات نحو نقد سوسيولوجيا السياسة عند ماكس فيبر ،الفكر العربي ،العدد (٢٢) ، السنة الثالثة ، ايلول / اكتوبر، ١٩٨١، ص١٢٣.**

[٣٧] **بول ريكور، محاضرات في الايديولوجيا ويوتوبيا ، ترجمة:فلاح رحيم،ط١، بيروت ،دار الكتاب الجديد،٢٠٠٢،ص١٣_١٤.**

[٣٨] **المصدر نفسه ، ص٢٦٣.**

[٣٩] **مالك ابو شهيوة و آخرون ، الايديولوجيا و السياسة ،ط١، ليبيا ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الاعلان، بنغازي ، ١٩٩٣، ص ٧٨.**

يسمونها اعادة الدفع و التحريك للتكوينات التي اصبحت راكدة ، و تقوم الايديولوجيا ايضاً بعملية التسييس للعناصر غير المهمة سياسياً . هذا و تقوم الايديولوجيا ايضاً فضلاً عن التعبئة على المستوى العام ، بالتعبئة على مستوى النخبة . فعلى هذا المستوى يمكن ان تقوم الايديولوجيا بتعبئة المثقفين (مثلاً) حتى يكونوا مرتبطين بالواقع الراهن ، هذا وقد تكون عملية التعبئة هذه ايضاً مخططة و ذلك للسيطرة على وعي الناس و ادراكهم ومن ثم لصياغة فرضيات محددة و التي تحفز الناس للعمل و الحركة و ذلك لتحقيق غايات حددها القائمون على السلطة ، فهم على سبيل المثال ، ربما يدعون الى السلام من أجل الحرب أو الدعوة من اجل بناء نظام استبدادي و الدعوة الى الاشتراكية من اجل تكريس مصالح و مكانة التكوين الاجتماعي السائد المستفيد ... "[٤٠].

٣ – الايديولوجية آلية أساسية لادارة الصراع: تعمل الايديولوجيا على المستوى الشخصي على مساعدة الفرد على مواجهة(تحمُّل) الصراع الداخلي مع نفسه و مع الآخرين و تعطي تفسير للأوجه المختلفة لحياة الافراد . أما على مستوى المجتمع (أو الجماعة) فالايديولوجيا تلطف بعض الصراعات من خلال قنوات تنافسية ، وتتجه الايديولوجيا العامة نحو تقليل أو خفض السلوكيات المختلفة الناتجة عن اختلافات حاجات الافراد أو الاعضاء المختلفين ، فالايديولوجيا العامة تصل هذا و ذلك بخلق حاجات عامة بين الاعضاء و بذلك تقدم وسيلة عامة لتُعبر الحاجات المختلفة "،بعبارة أخرى ،قد تسبب الايديولوجيا الصراعات السياسية (كما يقول دوفرجيه) عندما تُزيد وتُعمق الاختلافات بين الافراد و الجماعات ، أو قد تُخففها عن طريق ايجاد تصورات و أهداف و قيم مشتركة بين الافراد و الجماعات المتعارضة[٤١].

٤ – الاستقطاب والتمييز : فالاستقطاب يأتي بمعنى " التقاط أكبر قدر من الفاعلين السياسيين المتواجدين في المجال السياسي بإقناعهم بأن هذه الايديولوجيا هي التعبيرالحقيقي عن وضعيتهم الاجتماعية و عن افكارهم و انتمائهم وهي الاقرب الى مصلحتهم ". أما التمييز فيُقصد به " التمييز بين الأنصار و الخصوم ، بين الأصدقاء و الأعداء . فاذا كان الاستقطاب هو لف الناس حول رموز معينة صوتية (أناشيد) أو رموزية (اعلام ، أفكار ، تماثيل ، كتب) أو شخصية (أسماء ، شهداء ...) فإن حشد الأنصار يقتضي التمييز بينهم و بين الأغيار سواء كانوا مجرد أشخاص مختلفين عنا أو معنا أو كانوا منافسين أو محايدين أو خصوماً "[٤٢].

٥ – التبسيط و الانتقاء : ان كسب المزيد من المواطنين و اقناعهم بهذه الايديولوجيا أو تلك ، ومن ثم تسليحهم و تعبئتهم فكرياً و ثقافياً تقتضي من الايديولوجيا أن تقوم بـ " تقديم وصفات فكرية جاهزة للفاعلين . ليست غاية الايديولوجيا هي طرح المشكلات... وتقديم الأسئلة بل ،على العكس من ذلك ، فإن هدفها هو تقديم أجوبة جاهزة وعرض حلول ناجزة ". وهذا هو معنى التبسيط أو الاختزال ، أما بالنسبة لوظيفة الانتقاء فإنها تجعل من المؤدلج ان يكون متحيزاً تجاه الآخر (من الأفكار أو الظواهر أو الاشياء) بما

---

[٤٠] المصدر نفسه ، ص٨٤ .

[٤١] موريس دوفرجيه ، مدخل الى علم السياسة ، ، ترجمة : د. سامي الدروبي و د. جمال الاتاسي ، دار دمشق ، بلا، ص ١١٤– ١١٥.

[٤٢] محمد سبيلا، الايديولوجية نحو نظرة تكاملية ، مصدر سيق ذكره ، ص٦٤ .

يتناسب و ايديولوجيته ، أو بعبارة أخرى " بما ان الحكم الايديولوجي في عمقه حكم قيمة لا حكم واقع أو حكم واقع متلون بحكم قيمة فإنه يتضمن حكماً متحيزاً مع أو ضد . متحيز مع ما يبرز الفضائل و المزايا و ضد ما يبرز النقائص و الهنات. وهنا تركز الايديولوجيا على الوقائع الايجابية فهي تقوّم الوقائع التي هي في صالحها و تتعامى عن الوقائع السلبية وتبرز الوقائع التي في صالحها و تتعامى عن الوقائع السلبية التي تكذبها . فهي تقوم بعملية إخفاء و إظهار ، اخفاء لما يكذبها و يسفهها و ينتقص منها و اظهار لما يؤيدها و يبرز مزاياها . و الانتقاء هو فرز الوقائع الى ايجابية و سلبية باخفاء الثانية و بإظهار الأولى "[٤٣].

٦ – التبرير : تُقدّم الايديولوجيا شتّى الحجج و المبررات لممارسات و سلوك و مواقف و افكار اؤلئك الذين يؤمنون بها ، و " انتاج التبريرات ليس بالضرورة تقديم تفسيرات وتحليلات بل تقديم تأويلات لوضعية تجعل الممارسات و الاختيارات مستساغة ومشروعة... و يعد (جان بخلر) انتاج التبريرات عملية تقتضي اضافة معلومة جديدة في كل مرة حتى يكون التبرير ناجعاً و فعالاً. لكن إضافة معلومة جديدة كل مرة يدخل عنصراً جديداً في المتن النظري والعملي للايديولوجيا ويلغي طهارتها وادعاءها للصفاء ،كما يؤدي الى تدشين حرب التأويلات والتأويلات المضادة مما يتسبب في خلافات وخصومات وما يرتبط بها من ارتداد وهرطقة . لذلك تعد عملية التبرير هي السبب الرئيس في التفرع والتكاثر الايديولوجي"[٤٤]، دون ان يعني هذا غياب عامل المصلحة أو غيرها من العوامل التي تسبب التنوع والتكاثر الايديولوجي .

ب _ وظائف إجتماعية

تتجلى الوظيفة الاجتماعية للايديولوجيا على مستويين ، فعلى المستوى الاجتماعي تؤدي الايديولوجيا وظيفة التضامن الاجتماعي ، أما على المستوى الشخصي فتنظم الايديولوجيا الأدوار الشخصية للفرد، و تساعده على تحديد موقعه التاريخي و الاجتماعي داخل ا لاطار الاجتماعي و السياسي القائم و دوره في الحياة ، وطبيعة و غاية وجوده...[٤٥]، و عبر المستويين تقوم الايديولوجيا ومن خلال أدآئها لوظيفتها الاجتماعية بتحديد هوية الذات فرداً أو جماعةً و ذلك عبر تنمية الشعور بالانتماء لديها .

ان المستوى الاجتماعي للايديولوجيا هو اعمق مستوياتها ؛ لأنه يتعلق ببناء المجتمع نفسه حيث تتحول الايديولوجيا الى أداة صهر و عامل اندماج و تماسك لأعضاء الجماعة . و في هذا المستوى تصبح الايديولوجيا بمثابة حجر أساس يشد البناء الاجتماعي كله[٤٦].

بما ان الايديولوجيا هي التي تحدّد هوية الذات فإن هذه الهوية سواءاً اكانت هوية الفرد أم الجماعة ،هي محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة مع محيطها الاجتماعي القريب و البعيد، و تتميز بمجموع انتماءاتها في المنظومة الاجتماعية كالانتماء الى فئة جنسية أو عمرية أو اجتماعية أم مفاهيمية ... الخ ،كما و تتيح الهوية للذات التعرف على نفسها في المنظومة الاجتماعية و تحدد موقعها في المجتمع ، وبالمقابل تسمح

[٤٣] المصدر نفسه ، ص٦٥ .

[٤٤] المصدر نفسه ، ص٦٧

[٤٥] محمد سبيلا ، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦.

[٤٦] المصدر نفسه ، ص١٧ .

للمجتمع ان يتعرف عليها[47]. فالهوية بهذا المعنى هي" وعي المجتمع لذاته ، وعي للوحدة و التماثل ، و وعي الاختلاف و التمايز ، كما تفصح عنه الايديولوجيات السياسية بما تنتجه من افكار وتصورات و بما تحدده من أهداف سياسية و اجتماعية و اقتصادية و ثقافية، وكما تعبر عنه الثقافة من رموز و قيم و مُثل و معان و سمات عامة وخاصة، وتبرزه و تكشف عنه أنماط الانتاج الاجتماعية و المنجزات الحضارية و التقنية . وما يجسده الخيال الجمعي للشعب وللأمة. انطلاقاً من التاريخ و اللغة والكفاح الوطني و المطامح المشتركة "[48].

وهذه كلها تشكل عناصر الهوية ، والتي (أي الهوية) تتأدلج عبر وظيفة الاصطفاء و الانتقاء التي تمارسها الايديولوجيا . و بهذا تتجه الهوية نحو غاية سياسية محددة في ذاتها . وهذا ما يسمى تحديداً الايديولوجيات الدينية و القومية ، التي تحتكر الهوية و تعريفها و تعينها ، بحيث تحدد الهوية المطروحة[49].

ان صورة الهوية التي تقدمها الايديولوجيا (سواء في صيغتها الثقافية أو في صيغتها السياسية) لا تنقذ الفرد من التيه والضلال ، و تجعله يتماسك كذات فقط ، بل و تشده الى الجماعة ككل بأواصر هي من القوة و الصلابة بحيث يتعذر تكسيرها . والايديولوجيا بهذا المعنى مكون أساسي من مكونات أي مجتمع . فالناس في المجتمع الواحد لا تجمعهم فقط الارض التي يحيون عليها ، أو الموارد التي يلتفون للاستفادة منها ، أو السلطة التي يخضعون لها ، بل تجمعهم كذلك ثقافة واحدة أو متماثلة و تاريخ و ذاكرة و حكاية مشتركة وحية في النفوس "[50]. وبذلك تساعد الايديولوجيا على تحقيق استقرار الذات (فرداً أو جماعةً). اذ " ليست السلطة وحدها هي أساس نشوء واستقرار واستمرار المجتمع، بل هناك شرط ضروري و مكون أساسي لكل مجتمع هو تهيؤ النفوس و طواعية الارادات التي صهرتها الايديولوجيا و هيأتها . هذا " العنف اللطيف " (كما يقول سبيلا) الذي تمثله الايديولوجيا هو الذي يشكل الاسمنت الأساسي في كل مجتمع ، وهو الذي يهيء له شروط الاستقرار و الاستمرار . و غياب الرابطة الايديولوجية معناه غياب عنصر أساسي من عناصر المجتمع ، و بدونها يصبح المجتمع آيلاً الى التفكك أو مشدوداً بقوة سلطوية خارجية ، لا بانبثاق داخلي ، بوحدة الانتماء"[51].

وتتجلى الوظيفة الاندماجية للايديولوجيا من خلال " دفع الافراد عبر منظومتها الفكرية الى تكوين الجماعات كحزب أو حركة أو نقابة أو جمعية ... الخ و تحدد لهم ما هو مقبول و ما هو مرفوض و كذلك " تحدد و توضح حقوق و التزامات المجتمع و تحدد أهدافه و سلطاته و حدودها و كيفية تنظيم الحياة السياسية فيه".

---

[47] دوني كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : د . قاسم المقداد ، على شبكة الانترنت الرابط:
http://www.awu-dam.Org.

[48] محمد سعيد طالب، الدولة الحديثة و البحث عن الهوية ،ط١، الاردن ،دار الشروق ، ١٩٩٩ ، ص ٣٧– ٣٨.

[49] تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة ،ط٣، بيروت ،دار الساقي ، ٢٠٠٣، ص ١٩

[50] محمد سبيلا ، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

[51] المصدر السابق ، ص ١٨ –.١٩

ان الايديولوجيا لا تدعم اندماج المجموعة في المكان فحسب (كما يقول ريكور)، بل وفي الزمان ايضاً . في الحالة الاخيرة تكتسب ذاكرة الأحداث المؤسِّسة للمجموعة اهمية قصوى ، و اعادة تقديم الأحداث المؤسِّسة فعل ايديولوجي أساسي . هناك عنصر تكرار للأصل . مع هذا التكرار تبدأ كل العمليات الايديولوجية ، و تصبح بذلك وسيلة في متناول نظام القوة للحفاظ على قوته ، وهو لذلك فعل دفاعي و وقائي من جانب الحكام[٥٢]، أو من جانب أي جماعة إن كانت خارج السلطة أو داخلها اذا ارادت ان تستقطب الآخرين و تمارس الهيمنة عليهم . الايديولوجيا بهذا المعنى تلجأ الى الاسطورة أو تحوّل الحادثة التاريخية الى اسطورة و تؤولها ايديولوجيا بغية تقوية أواصر اعضائها . أو بعبارة أخرى " الايديولوجيا في هذه الحالة تتحول الى حكاية تقدم للمجتمع صورة عن نفسه ومن خلال و عبر مسار تاريخي يعود الى أصل متدرج عبر تعرجات الزمن . على سبيل المثال ، تعود الايديولوجيا الأمريكية الى حرب التحرير و الى بطولاتها و ابطالها كمنطلق ، فهي تشكل المؤسس المرجعي للدولة الأمريكية الحديثة ، و الايديولوجيا السوفيتية الحديثة تعود باستمرار الى الحدث المؤسس للدولة السوفيتية الحديثة وهو الثورة الروسية في ١٩١٧ كمرجع رئيس يكسب كل الأحداث اللاحقة و السابقة معناها و دلالتها و يعيد ترتيبها و تصنيفها . و الايديولوجيا الفرنسية هي نوع من العودة الدائمة الى الحدث المؤسس لفرنسا الحديثة و هو الثورة الفرنسية في ١٧٨٩ و الذي تستلهم كافة القوى السياسية مغازيه و دلالاته . أما بالنسبة لدول العالم الثالث فأغلب ايديولوجيتها ترتكز على المرحلة الفاصلة بين النضال من اجل الاستقلال و لحظة الفوز بالاستقلال . فلحظة الاستقلال تصبح الحدث المرجعي في الايديولوجيات السياسية لدول العالم الثالث " او دول العالم النامي او في طور النمو[٥٣]. هذا بالنسبة للأحداث السياسية التي تؤسس الايديولوجيات السياسية . وقد تكون الحدث المؤسِّس حدثاً ثقافياً كما هو الحال بالنسبة لظهور الاسلام و زمن النبوة وهو زمن فاصل بين عهدين : عهد الظلام و الجهالة وعهد النور و الهدى . و أحداث عصر النبوة و عصر الخلفاء الراشدين هي الأحداث المؤسسة بالنسبة لكل دولة على حدة أو للأمة العربية و الاسلامية ككل . بل ان كل دولة تجتهد في تكييف حدثها المؤسس اللاحق مع هذا الحدث المؤسس المرجعي المشترك الذي هو ظهور الاسلام[٥٤] .

اذن ، ففي كل مجتمع هناك مجموعة أحداث مؤسسة اما ثقافية أو سياسية يتم باستمرار الرجوع اليها و الإحالة عليها و إعادة تأويلها في اتجاه تأسيس وترسيخ ذاكرة جماعية مشتركة لأعضاء الجماعة. ووظيفة هذ الايديولوجيا هي تزويد الافراد، والمجتمع، والأمة ككيان اجتماعي بهوية جماعية مميزة . هذه الايديولوجيا تحدد للفرد من هو وتحدد للأمة من هي، مع ما يترتب عن ذلك من أدوار و رسالة تاريخية و أهداف مستقبلية[٥٥] .

---

[٥٢]بول ريكور، محاضرات في الايديولوجيا و اليوتوبيا ،مصدرسبق ذكره ، ص ٣٥١ – ٣٥٢.

[٥٣] محمد سبيلا . الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤– ١٥.

[٥٤]مالك ابو شهيوة و آخرون ، الايديولوجيا و السياسة ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٦.

[٥٥]المصدر نفسه ، ص١٥.

٤_ اسباب غيابها عن الثورات العربية

لعل أهم مايميز الثورات العربية التي تجري فصولها اليوم في أكثر من بلد عربي هو غياب البعد الأيديولوجي بجميع انتماءاته عن الحركة الثورية وشبابها، وهو ما سهّل نجاحها ووسع نطاقها، فلم نر أثراً لهذا البعد في ميادين التحرير في مصر من خلال الشعارات المرفوعة، أو من قبل الجهات المنظمة التي تقف وراء هذا الحراك الشعبي ، وهذا ما يفسر الإجماع الحاصل بين مختلف شرائح المجتمع في دعم هذه الثورات والمشاركة فيها.

ويبدو ان الشعوب العربية قد سئمت من الأيديولوجيات المزيفة، والإنقلابات (الثورية) بشقيها العسكري والمدني، فقد وجدت هذه الشعوب ان الأنظمة العربية التي جاءت بها تلك الأنقلابات او تحت أي مسمى آخر هي أكثر وطأة عليها من وطأة الاستعمار الذي سبقها، وهذا ما أثبتته الممارسات القمعية التي كانت تمارس بحق هذه الشعوب من قبل أنظمتها طوال تلك العقود التي تلت الحقبة الاستعمارية.

لقد استغلت أنظمة الحكم العربية عطش شعوبها الى أنظمة وطنية بعد ان تخلصت من سيطرة القوى الأجنبية لتفعل فعلتها تنكيلاً واستغلالاً لهذه الشعوب من خلال خلق ديكتاتوريات صنمية، الملكية منها والجمهورية قل نظيرها في العالم أجمع، وقد كشفت الثورات العربية عن مدى قسوة هذه الأنظمة.

وعلى الرغم من ان تلك الثورات ونظيراتها القائمة الآن كانت سياسية ومسيسة بامتياز لكنها في ذات الوقت لم تكن مؤدلجة بأي حال من الأحوال، فقد قامت هذه الثورات بلا أيديولوجيا مركزية او عقيدة محددة كما عهدناها في بقية الثورات التي سمعنا وقرأنا عنها. فالذين خرجوا من شتى الأطياف كانت لهم قضية جامعة، وخطاب سياسي موحد تبنته القوى الثورية الشابة والمتمثل بالحرية والكرامة وتحقيق العدالة الاجتماعية بعد التخلص من أنظمة الاستبداد[٥٦].

ويبدو ان القول بنهاية الأيديولوجيا قد تحقق في هذه الثورات انطلاقاً من القناعة الراسخة لدى شعوب المنطقة بأن مروجي هذه الأيديولوجيات من التيارات المختلفة قد أغرقوا البلاد طيلة العقود المنصرمة في دوامة من الجدال الأيديولوجي العقيم كانت نتيجته الحتمية عجز تلك التيارات عن تقديم برامج سياسية محددة تخدم السواد الأعظم من الناس، فقد تشبعت ثقافة المجتمع بكل الخطابات القومية واليسارية المؤدلجة، وهذا الأمر أدى الى ظهور تيار مضاد لا يدين لفكرة ولا مدرسة محددة، يستمد شرعيته من قوة الدفع الثورية، معبراً بذلك عن أحلام وطموحات الجماهير. فالمجتمع العربي اليوم ليس بحاجة الى أيديولوجيا واحدة جاهزة، ولا صراع الأيديولوجيا، فالخط الفكري الأساسي للتيارات الجديدة والمتمثل بالثورات العربية يقوم على رفض ونبذ المرجعيات الأيديولوجية الموجودة على الساحة السياسية عموماً. وهذا يذكرنا بمقولة نهاية الأيديولوجيا التي طغت على الحركة الفكرية والسياسية الغربية طيلة حقبة الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي[٥٧].

---

[٥٦] ياسين العطواني ، الثورات العربية و غياب الايديولوجيا ، نقلاً عن شبكة الانترنيت و على الرابط :
http://www.maqalaat.com/articles/view/3244

[٥٧] المصدر نفسه .

لكن ... السؤال الذي يطرح نفسه هل انتهت الايديولوجيا فعلاً ؟ و هل ان الثورات العربية هي بداية لنهاية الايديولوجيات و الافكار وبداية للأعمال والافعال ؟؟

و للاجابة .. يجب القول أن الأيديولوجيا ظرورة لكل عمل سياسي، فكل عمل سياسي يحتاج لفلسفة تقنع الفرد الممارس له، ثم بمقدار نفوذه وعلاقاته يحاول أن يشرحه لغيره، حتى يجعله عقيدة عامة، وكلما اعتنق عدد أكبر من الناس لهذه العقيدة بسط الفرد او الجماعة هيمنتهم على المجتمع و من ثم السلطة والدولة .

رابعاً : رؤية مستقبلية لواقع المنطقة العربية

تؤكد نتائج الانتخابات في بلدان ما بعد التغيير التوقع السائد منذ فترة طويلة وهو أن المرحلة القادمة في المنطقة العربية ستتميز بوجود الاسلاميين (الايديولوجيا الاصولية الاسلامية) في السلطة في شكل أو في آخر وفي أكثر من بلد عربي . فوز الإسلاميين في الانتخابات المصرية يأتي بعد فوز حزب العدالة والتنمية الإسلامي في المغرب والذي جاء بدوره بعد فوز حركة النهضة في تونس. في ليبيا هناك توقعات غير بعيدة عن الواقع بفوز مشابه أو قريب للإسلاميين في حال تنظيم أية انتخابات. في الأردن واليمن والجزائر لا أحد يقلل من حجم التيارات الإسلامية وإمكانية حصولها على نسب عالية في أية إنتخابات.

وعلى رغم أن تجربة الاسلاميين العرب في الحكم ليست مشرقة، على الأقل في الحالتين اللتين شهدناهما في السنوات الماضية في السودان وغزة، إلا أن ذلك لم يقلل من التأييد الشعبي لهذه التيارات. وربما يُفسر ذلك جزئياً بإحالة فشل هاتين التجربتين إلى العوامل الخارجية والعلاقات مع العالم والمحيط أكثر مما أحيل إلى قدرة الإسلاميين وكفاءتهم في الحكم. وهكذا تبدو الشعوب العربية مصرة على خوض مغامرة تسليم أمور الحكم إلى الإسلاميين لحقبة من الزمن.وتحتاج هذه الشعوب إلى تجربة حقيقية وعريضة مع الإسلاميين حتى تستطيع الحكم عليهم بموضوعية بعيداً عن العاطفة الدينية والتأييد شبه الأعمى[٥٨].

يقول كثير من الإسلاميين أن دورهم قد جاء ومن حقهم أن يحكموا بعد أن حكم القوميون والليبراليون والاشتراكيون والمحافظون التقليديون في البلدان العربية. هنا ليس ثمة أية مشروعية للشك في ذلك الحق ما دام يأتي عن طريق الديموقراطية والانتخابات. أي ديموقراطي حقيقي لا يستطيع إلا أن يسلم بهذا الحق الديموقراطي، حتى لو كان معارضاً للإسلاميين على طول الخط. لكن ما يظل خاضعاً للجدل والنقاش والتخوف العميق والمبرر هو منسوب ترسخ اعتقاد الإسلاميين بالديموقراطية وبمضامينها الواسعة والكلية، وخضوعهم لمنطق تداول السلطة سلمياً وعدم التمسك بها فور الظفر بها. هذا التخوف يظل مُشرعاً بانتظار ما تنجلي عنه السنوات القادمة وممارسة الإسلاميين في السلطة. لكن ما يُمكن التأمل به الآن هو تقليب بعض جوانب هذه الفورة الإسلامية الانتخابية وسيطرتها على الشارع ودفعها للتيارات الناطقة باسمها إلى سدة الحكم، ونتائجها البعيدة الأمد[٥٩].

[٥٨] **خالد حروب ، اسلاميو ما بعد الثورة ، شبكة الانترنيت و على الرابط : http://www.qaunetra.org.pag1**

[٥٩] **أحمد تهامي عبد الحي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤ .**

وعليه ، ان من امتلك الايديولوجيا بكل خصائصها و وظائفها السالفة الذكر هو من سيقطف ثمار التغيير ، اي ثمار الثورات الشعبية العربية ، وليس جيل شباب الانترنيت او جيل الكادحين الباحثين عن لقمة العيش الكريم ، وهذا ما تمليه المؤشرات الاولية للانتخابات التشريعية بفوز حزب النهضة الاسلامية في تونس و تنظيم الاخوان المسلمين و حزب النور السلفي الاسلامي في مصر .. وهذا السيناريو يمكن ان يتكرر مستقبلا في كل من سوريا وليبيا ...

خاتمة و إستنتاجات

توصل الباحث في نهاية هذا البحث الى الاستنتاجات الآتية :

١ _ ان الثورات الشعبية العربية المطالبة بتغيير او اسقاط انظمتها السياسية هي نتاج تضافر عوامل داخلية و توفر بيئة دولية مؤيدة و ساندة لهذا التغيير و خصوصاً الدول الغربية.

٢ _ وجود خلل كبير في بنية الدول العربية على المستوى السياسي و الاقتصادي والاجتماعي منذ الاستقلال وحتى الوقت الحاضر ..

٣_ ان جيل الشباب الذي تحمل على عاتقه عملية التغيير يفتقر للبعد الايديولوجي ، اي انه جيل غير مودلج .

٤ _ ان الايديولوجيا بالرغم ما يشوبها من عيوب الا انها تبقى ظرورة ملزمة كأداة تنظيم لعملية التغيير السياسي .

٥ _ ان الايديولوجيا تملك من الخصائص و الوظائف ما لا يمكن الاستغناء عنها في اي عملية تغيير .

٦ _ أن الأيديولوجيا ظرورة لكل عمل سياسي، فكل عمل سياسي يحتاج لفلسفة تقنع الفرد الممارس له، ثم بمقدار نفوذه وعلاقاته يحاول أن يشرحه لغيره، حتى يجعله عقيدة عامة، وكلما اعتنق عدد أكبر من الناس لهذه العقيدة بسط الفرد او الجماعة هيمنتهم على المجتمع و من ثم السلطة والدولة .

٧ _ النتائج الاولية التي افرزتها عملية التغيير في بعض الدول العربية تأكد ان من يملك الايديولوجيا هو من قطف ثمار التغيير ..

The Absence of Ideology for the Arab Revolutions

Assistant Instructor:

Ahmed Abdul- Kareem

Abstract

Arab spring, a term that is called on the movements of protests and revolutions that have taken placein the Arab region. They have succeeded in some Arab countries to change the whole political system. But these revolutions and protest slack any ideology which is an important factor in anyprocess of political change.This research seeks to demonstrate the importance of the ideology for any process of political change,and what results that would be resulted from using the ideology.